الهجوم العثماني على كردستان وسقوط امارة سوران

القسم الثاني

أسباب سقوط امارة سوران

اولاً : الاسباب الداخلية :

لا ينكر ان قيام الدولتين العثمانية والصفوية سجل فترة جديدة في تاريخ الكرد وكردستان . فلم يترك قيامها سوى مجال ضيق للكرد في المحافظة على استقلالهم . بسبب موقع كردستان بين الدولتين فابتلى شعبها باصطدام سياسة الدولتين فوق ارضه واطماعها فيها . هذه الاطماع التي مزقت بالتالي كردستان بينهما . ناضل الكرد ضد هذا الوضع الغريب والصعب بالنسبة لهم فأصبحت كردستان ميدان صراع لا يهدأ . ودافعت الامارات الكردية عن كياناتها ضد الدولتين وفي فترات تاريخية مختلفة . وكانت آخر المحاولات الناضجة للاستقلال ثورتي اميري سوران وبوتان . ولكن دسائس السلطات الاجنبية وعدم نضوج الظروف التاريخية . . . قد جعلت من العسير ان يحظى الكرد بقيادة موحدة . فكانت هذه من الاسباب الرئيسية التي ادت الى اجهاضها . فطبيعة حركة التحرر الوطني للشعب الكردي ارتبطت منذ ميلادها بظروف المجتمع الكردي الذاتية والموضوعية كما تأثرت كأي حركة اخرى بعوامل ومؤثرات خارجية اخرى[1] .

ان اسباب اخفاق حركات التحرر الكردية في رأي الكثير من المؤرخين والكتاب تعود بالدرجة الاولى الى ظروف المجتمع الكردي الداخلية . ويلخص المؤرخ محمد امين زكي تلك الاسباب فيقول : - في الواقع اذا امعنا النظر في اسباب اخفاق الثورات والحركات الكردية نجد ان السبب في ذلك يرجع الى عوامل داخلية ناشئة من نفس الاكراد أكثر منها الى اسباب ومؤثرات خارجية . فتلك الثورات التحررية حدثت قبل أوانها . لان الشعب الكردي لم يكن قد استعد بعد لمثل هذه الغاية الشريفة . فكان السبب الأوحد في اخفاقها هو الجهل المتفشي بين ابناء الشعب وعدم ادراك الامراء القائمين بالأمر حقيقة الظروف والاحوال المحيطة بهم . فكان معظم افراد الجيش العثماني الذي قام بازالة الامارات الكردية من الوجود مؤلفاً من الجنود الاكراد انفسهم . ويعتقد محمد امين زكي . ان تأسيس ادارة مستقلة متوقف قبل كل شيء على العلم والمال وكل شعب محروم من هذين الكنزين لا يرجى له نجاح قط في اي نهضة . . اللهم الا اذا كانت السياسة الدولية العامة تساعد ذلك الشعب على الوصول الى غايته[2] .

وعن اخفاق حركة محمد باشا الكبير وسقوط امارة سوران كتب محمد امين زكي يقول : «هذا ولحركة محمد باشا الراوندوزي من هذه الحركات الاستقلالية والثورات . مكانة ممتازة وقيمة خاصة فاذا امعنا النظر فيها نجد ان اسباب فشلها يرجع الى العوامل الآتية :-

١ - التعصب الممقوت والافراط في الاعتماد على علماء الدين الجاهلين بالشؤون والظروف السياسية .

٢ - عدم الاهتمام بفكرة الاتفاق مع الامراء المجاورين لتوحيد العمل .

٣ - حقد وحسد امراء بابان وبادينان والجزيرة «بوتان» ولاغرو فان محمد باشا لو لم يكن مغروراً كثيراً . ولو ترك الامراء المجاورون التنافس والحسد واتفقوا فيما بينهم لكان من الصعب على الحكومة ان تتغلب

عليهم ، وربما توفقوا جميعاً ، ولكن الحسد والتنافس كان سبب ازالتهم جميعاً[٣]

والمؤرخون والكتاب الكرد عندما يتحدثون عن امارة سوران واسباب سقوطها في عهد اقوى امرائها محمد باشا ، يؤكدون بأن اعتقاده الديني واعتماده المفرط على بعض من رجال الدين وخاصة على الملا محمد الخطي ، لعب دوراً كبيراً في سقوطه ، ولعل شهرة الخطي في كردستان أكثر من غيره من علماء الدين الذين عاصروه ، هو ارتباط اسمه بالنهاية المأسوية لامارة سوران واميرها محمد باشا ، إذ حمله الكثيرون مسؤولية سقوطها ومعظم المصادر والمراجع التاريخية الكردية تردد ذلك .

ان الحديث عن الخطي ودوره وأثره فتواه لا يعني انه كان السبب الوحيد في سقوط الامارة ، لأن ما حدث عام ١٨٣٦ كان نتيجة لعدة اسباب غير ان اثره تجسد عاملاً قوياً شكل صورة الحسم للامارة فالبحث في عالم هذه الشخصية المثيرة ومناقشة فتواه واسباب اصدارها ، ضروري جداً للوصول الى مؤشر ايجابي لهذا التجسيد والعامل .

الحقيقة اننا نجهل الكثير عن تفاصيل حياة الملا محمد الخطي فالمؤرخون وكتاب التراجم لا يذكرون ميلاده ولكن تراجم معاصريه تدل على انه من مواليد سبعينات القرن الثامن عشر ، واذا توخينا الناحية التقريبية استناداً الى ميلاد زملائه في الدرس والعمل ، يمكننا القول بأنه ولد في حدود «١٧٧٢-١٧٧٥» وفي قرية خەتى» احدى قرى منطقة خوشناو القريبة من باليسان وناحية خوشناو[٤] . وكان يلقب بـ «محمد افندي الشيخ سليمانى»[٥] ومن عائلة دينية مشهورة وان والده كان عالماً معروفاً ، ورغم التحقيق لم استطع التوصل الى معرفة اسمه الثلاثي ، ويذكر المؤرخ محمد امين زكي نقلاً عن رسالة خطية : ان جد هذه الاسرة كان يدعى خطي افندي وكان رجلاً محترماً ومقرباً لدى محمد باشا ، اشار اليه بالتسليم وتقديم الطاعة[٦] . ولا تؤيد المصادر التأريخية هذا القول فالحقيقة ان اسمه ولقبه طغى على كل شئ بسبب شهرته[٧] .

نشأ الخطي طالباً للعلم منذ صغره وتنقل في ارجاء كردستان ودرس على اساتذة كبار أمثال محمد بن ادم وابوبكر الامير رستمي ، فجمع بين مختلف العلوم المعروفة في عهده وبرز في العلوم العقلية بوجه خاص[٨] .

انتقل الخطي الى بغداد واقام فيها في اوائل القرن التاسع عشر في عهد واليها داود باشا «١٨١٧-١٨٣١» الذي استقطب معظم العلماء حوله بخاصة الاكراد لتحقيق شهرته . لعل الخطي قصده باعماله ونتاجاته الدينية آملاً في مكافأته وصلته ، فكثيراً ما ترك المتصوفة والعلماء مسقط رأسهم وطافوا بالبلاد للألتقاء بالأمراء والحكام ليظهروا لهم علمهم وفضلهم لأجل الشهرة وجمع المال . خاصة وان داود باشا اعتنى كثيراً بالشؤون الدينية واقام صلاتاً واسعة بين رجال الدين وفي سبيل استقلاله راعى جلب خواطر الاهلين في عمارات دينية فضرب رقماً قياسياً في بناء المساجد والجوامع والمدارس الدينية ودفع بسخاء لرجال الدين والمتصوفة وكل القادرين على توجيه الرأي العام انذاك ، يؤيد هذا معاصره البيطار عندما يقول : كان داود باشا كثير العطايا وانه عندما تولى السلطة «وَفد عليه العلماء والفضلاء لانه هو الذي يعرف مقامهم ، وينشر بين الناس اعلامهم ويكرمهم غاية الاكرام ويعاملهم بالاحسان والانعام»[٩] ، وكان داود باشا نفسه رجلاً دينياً مجداً برز بمواهبه الدبلوماسية والادبية وبمعرفته الممتازة للغات الشرقية .

ان اهتمام داود باشا بعلماء الدين الاكراد ولاسيما خلفاء مولانا خالد النقشبندي «١٧٧٩-١٨٢٧» واتباعه ورعايته لهم كان للافادة منهم لتوطيد حكمه في العراق وكردستان وتحقيق بعض اغراضه السياسية في علاقاته مع الامراء الاكراد الذين كان لهم تأثير ودور كبير في تسيير الاوضاع السياسية في العراق انذاك ، والولاة العثمانيون في سبيل توطيد حكمهم في كردستان واضعاف الامراء الاكراد كانوا يشجعون الزعامات الدينية ويمدونها بالمال والنفوذ[١٠] .

ويؤيد ما سبق المؤرخ عباس العزاوي عندما يقول «ان داود باشا استغل اتباع مولانا خالد النقشبندي وخلفائه سياسياً وجلب رضاهم»[١١] .

وكذا أبو الثناء الألوسي بقوله «ان بعض البارعين من رجال الدين والمتصوفة صاروا يستغلون الرأى العام وكثيراً ما ناصروا الحكام اوبثوا لهم الدعاية ومالوا اليهم وعادوا يدبرون الامر وراء الستار فلا يرد لهم قول[١٢]

ويقول الدكتور نوار : ان عدداً كبيراً من العلماء الكرد عاصروا داود باشا وانه اغدق عليهم مبالغ ضخمة للانتفاع بهم في ديوانه ، ويضيف نوار على قوله هذا : «وان شأن بعضهم قد ارتفع لديه فاشترك قسم منهم في ادارة امور البلاد»[١٣] كما يذكر الوردي : ان داود باشا اقنع القادرين على توجيه الرأي العام بالمال والنفوذ[١٤] .

والجدير بالذكر ان معظم علماء الدين الاكراد كانوا قد تعرفوا على داود باشا قبل ان يصبح والياً على بغداد ، عندما كان طالباً منقطعاً

للدرس في حضرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني لعدة سنوات ، حرص فيها على تلقي العلوم من كبار علماء عصره ، لذا تنقل الروايات الكثير عن صمت الملالي والاساتذة في حضرته[١٥] . ولا ننسى ان داود باشا في سبيل سيطرته على باشوية بغداد لجأ عدة مرات الى كردستان وبمساعدة الاكراد نال ما كان يصبو اليه ، ومن اشهر علماء الكرد الذين عاصروه وكانوا من المقربين لديه ، بالاضافة الى الخطي :

مولانا خالد النقشبندي والشيخ عبدالرحمن بن حسين بك الروزبياني والملا يحيى بن خالد المزوري ، وقد أفاد داود باشا – وكان يسعى الى مركزة العراق تحت سلطته – من وساطة مولانا خالد في تحسين علاقاته مع أمراء بابان في عهد الامير محمود باشا[١٦] . اما المزوري فقد ارسله داود باشا الى العمادية عاصمة امارة بادينان في حدود عام ١٨٢٤ ليضمن ولاءها بعد اضطراب اوضاعها بسبب النزاع على الحكم بين ميران بك وموسى بك وسعيد بك واسماعيل بك اولاد اخوة زبير باشا الذي توفي دون ان يعقب ذرية ، وربما كان من مهامه ايضاً اقناع امراء بادينان في معاداة حكام الموصل الجليليين والضغط عليهم ، لان ضعف الجليليين كان يؤدي الى استمرار نفوذ داود باشا قوياً على الموصل[١٧] .

لقد اتصل الملا محمد الخطي في بغداد بداود باشا بواسطة العلماء الاكراد الذين سبقوه اليه ، وكان بعضهم من اساتذته ، وصار الخطي من المقربين الى داود باشا في فترة قصيرة ، بسبب شخصيته المثيرة وعلمه وحاجة الوالي اليه ، فقدره وقربه ، ويذكر المؤرخ عباس العزاوي : «ان الملا الخطي كان ربيب داود باشا وعندي له رسالة قدمها الى داود باشا في العلم الالهي وله مؤلفات اخرى[١٨] . ويظهر ان داود باشا ادرك مكانة الخطى العلمية ، وتوسم فيه القدرة على اداء المهام السياسية ، فاراد ان يستفيد منه ويستغله في تحقيق بعض اغراضه السياسية في كردستان خاصة بعد ان ساءت علاقته مع امراء بابان واشتداد الصراع والتنافس بينهم وبين امارة سوران . فبسبب مكانة الخطي في سوران ومعرفته الجيدة بأوضاع الامارة السورانية بحكم قرب قريته من عاصمتها راوندوز ، أرسله داود باشا اليها مصحوباً بالهدايا ليكسب له ولاء وصداقة اميرها الكفوء محمد باشا الكبير ويعقد معه اتفاقاً يفيده ايام الشدة ويحرضه ضد امارة بابان ، ولما كان امير سوران ضد السياسة الايرانية التي كانت تدعم البابان ، مال اليه داود باشا واخذ يشجعه على مقاتلتهم .

بعد انتقال الخطي الى راوندوز اصبح له شأن اخر فعاش في جو مشحون بالاحداث السياسية التي شهدتها المنطقة في عهد الامير محمد[١٩] .

وتظهر من الوقائع التاريخية واستقراءها ان داود باشا ارسل الملا الخطي محملاً بالهدايا في حدود عام «١٨٢٦-١٨٢٧» ليهنئ الامير الكبير بانتصاره على البابانيين الذين كان يكرهم بسبب تعاونهم مع ايران ضده ، وان الامير الكبير كان يعرف مكانة الخطي عند داود باشا ، فلكي يكسب وده في المستقبل عين ربيبه مشاوراً ومعتمداً له ومفتياً لأمارته ، رغم وجود علماء اعظم شأناً منه في سوران ، وربما كان هذا سبباً في مغادرة بعضهم راوندوز فيما بعد كالعالم الديني الكبير محمد بن ادم البالكي مثلاً .

هكذا دخل الخطي في خدمة الولاة والأمراء ومخالطتهم وبالتالي في السياسة عن علم أو دون علم منه ، وأعتقد ان سبب اختيار داود باشا له اضافة الى الاسباب السابقة ، هو احجام بقية العلماء الكرد عن القيام بمهام ذات صفات سياسية ، لان تدخل علماء الدين في السياسة ومخالطتهم الحكام كان يقلل من قيمتهم امام الناس انذاك ، ويظهر هذا بوضوح من الرسالة التي كتبها مولانا خالد النقشبندي رداً على رسالة داود باشا الذي الح عليه فيها ان يتوسط بينه وبين امراء بابان ، فالشيخ وافق على التوسط بعد الحاح داود باشا الشديد بدليل قوله « . . . اما بعد فقد تواترت الاشارة منكم الى افقر الفقراء ، وزاد في الالحاح والابرام وزير الامراء ، ليوسط الفقير لأصلاح ذات البين وليبذل النصح لدفع الكدورة والشحناء . . يتبدل النفاق بالوفاق ، وتتحول المنافرة الى الاتفاق ، مع ان اقتحام هذا المسكين الفقير وخوضه في مثل هذا الامر الخطير ، كان بالنسبة الى بعض العقول ، سبباً للسقوط عن العيون ، والانحطاط والنزول ، على ان الاعتماد على عهود اهل الدنيا حق الاعتماد عزيز علينا ، اذ هو اصعب من خرط القتاد ، ولا تأمن من نقضهم الميثاق واخلافهم الميعاد .»[٢٠] . .

ان قيام الخطي بالمهمة دفع المؤرخين الى القول بانه كان من رجال الدولة العثمانية وانه لم يكن مجرد رجل دين فأشاروا اليه باصابع الاتهام كما سنرى .

يقول الدكتور نوار : ان داود باشا اغدق مبالغ ضخمة على العلماء الاكراد الذين عاصروه ، لقاء انتفاعه بهم في ديوانه ، ويذكر البيطار : ان داود باشا دفع ثلاثين الف غازي محمودي كبير لمولانا خالد ليسد ديونه ، وصرفها دفعة واحدة ، وهذا امر نادر قل ما يوجد له نظير[٢١] .

ويعلل الدكتور يوسف عزالدين سبب هذا السخاء فيقول :

ان داود باشا في سبيل ان يقرب قلوب الناس لكي يلتفوا حوله ، اخذ يتقرب الى الصوفية وارباب الطرق فدفع لزعيم الصوفية الشيخ خالد النقشبندي ثلاثين الف ليره عندما سمع انه مدين وقد كانت الطرق لها اهميتها وكيانها وسطوتها فأخذ المريدون يلهجون بالدعاء والثناء على داود باشا[٢٢] بينما كتب الشيخ عبدالكريم المدرس ، تعليقاً على تدخل مولانا خالد في الامور السياسية ، يقول : «من المحتمل ان بعض قليلي المعرفة يقولون ، مادخل النقشبندي في التوسط ومصالحة داود باشا والبابان والدولة العثمانية ، ليس من المستبعد انه كان يتوخى من عمله هذا فائدة دنيوية وهو صاحب الطريقة والديانة . .» . ويرد الشيخ على هذا الاحتمال فيقول : انه فعل هذا حرصاً منه على الدين وانطلاقاً من «ان المؤمنين اخوة . . .» ومصلحة المسلمين ، بدليل انه لم يخلف أي ثروة وراءه سواء في الشام أو بغداد أو في كردستان . وان عمله كان لمنفعة البابان والعثمانيين[٢٣] .

انا لا أتهم هؤلاء العلماء بتسلمهم مبالغ مالية كبيرة لقاء اعمالهم لكن قيامهم بالمهمات التي أوكلت اليهم لم يكن مجاناً ولوجه الله ، ايضاً . فكثير ما يؤثر بعض الناس القيام بعمل ما بشكل يبعث فيهم السرور الشخصي أكثر مما يؤدي الى نفعهم المال أو انهم كانوا يعتقدون ان قيامهم بهذه المهام هو من صميم واجباتهم الدينية تجاه ولي الامر ودولة الخلافة الاسلامية التي اخذ السلطان محمود الثاني يؤكد عليها كثيراً لانجاح سياسته وفرض المركزية ، يؤيد هذا العزاوي عندما يذكر ان «التلقيب بالخلافة والأمامة الكبرى أو امارة المؤمنين في آل عثمان حدث في عهد السلطان محمود حيث صار بعض وزرائه يخاطبوه بذلك احياناً تفنناً في الاجلال وغلواً في التعظيم[٢٤] . .

ولبيان أثر فتوى الخطي في سقوط امارة سوران اعود مرة اخرى الى الاسباب الداخلية والى العوامل الثلاثة التي حددها المؤرخ محمد امين زكي ، وأرى بعد التحقيق التاريخي ان الامير السوراني اهتم بالنقطتين الثانية والثالثة ، لكنه لم يستطع الافلات أو التحرر من النقطة الاولى بسبب نشأته الدينية وطبيعة المجتمع الكردي .

لقد اهتم الامير بفكرة توحيد الامارات الكردية بالقوة أو بالاتفاق أو بتعاونها على الأقل ، لكن خططه البعيدة المدى كانت تخيف وتثير الامراء الاكراد الانانيين الذين كانوا يرون في سلطته القوية عقبة امام محاولاتهم في تقوية نفوذهم على ممتلكاتهم واغلب الظن ان تحالفهم واتفاقهم معه لم يكن مصيرياً وحقيقياً بل كان بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجهه ، حتى انهم لم يكونوا مخلصين في صداقتهم معه فكان الامير بالنسبة لهم مخيفاً أكثر من ان يكون محبوباً . لذا لم يخف أحد منهم لدعمه ونجدته ، ولم تشهد كردستان أي خطة موحدة لرد الغزو العثماني عام «١٨٣٤-١٨٣٦» بين بدرخان البوتاني وامير سوران ، فالصداقة والتحالف بينهما لم يتطورا الى تعاون وتنسيق عسكري . وتخلى امير بادينان اسماعيل باشا عن الامير في الجولة الثانية من المعارك مع رشيد باشا ووالي الموصل وبغداد ، بعد تمكنه من ان يتولى الحكم في العمادية بموافقتهم . . فتوجهت القوات العثمانية كلها مباشرة الى راوندوز تاركة وراءها العمادية دون تعرض . ويعلق الاموْرخ محمد امين زكي على وقوف اسماعيل باشا موقف المتفرج من الجيش العثماني الذي كان يحاول القضاء على امارة سوران فيقول : في الحقيقة ان موقف اسماعيل باشا الذي لم يقصر في عداء محمد باشا قط ، مبعث على الاسف واللوم ويستحق ان يكون عبرة ومضرباً للأمثال ، فعندما اشتبك الجيش العثماني مع محمد باشا كان هذا القائد الكردي يقف موقف المتفرج المسرور من القضاء عليه . . فلم يمضِ طويل وقت واذا بهذا الجيش نفسه يحمل على العمادية ويلقي القبض عليه ويرسله مكبلاً الى بغداد[٢٥] .

اما امراء بابان فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر نهاية امارة سوران . فالقضاء على اميرها كان يكفل لهم الامن والطمأنينة لأنه كان يهدد بالقضاء على امارتهم ، ولم يكن وضعهم المزري يساعد على مساهمتهم في اسقاطها بالتعاون مع العثمانيين . لكنهم هاجموا اراضي الامارة السورانية حال سقوط راوندوز كما سبق القول .

ولا ننسى موقف بعض رجال الدين وزعماء العشائر ممن لم يكن لهم في السياسة نظر قريب ولا بعيد . . فأيدوا القادة العثمانيين ورافقوهم الى اعماق كردستان لخنق امارة سوران ، كما ان قسماً كبيراً من جيش رشيد باشا وعلى رضا كان من العشائر الكردية . . وبرغم كل ما ذكرناه اضطرت الجيوش العثمانية الى التراجع . . ثم اللجوء الى الخدع فأستعانت بالخطي فجاءت فتواه احدى تلك الخدع الناجحة وقديماً قيل «رب قول انفذ من صولة» .

ان استعانة الدولة العثمانية ببعض من رجال الدين واستغلالهم في القضاء على ثورات الشعوب عليها . كان امراً اعتيادياً انذاك يؤيد هذا

ساطع الحصري بقوله : انه في عصور الانحطاط صارت الدولة تسعى الى اغراء رجال الدين وتلجأ الى وساطتهم في كثير من الامور ، وتسعى الى استرضائهم في شتى المناسبات حتى انها كانت توجه اليهم في بعض الاحيان فرامين واوامر علنيّة تطلب منهم مساعدة الولاة . ويضيف الحصري على قوله هذا : ان رجال الدين قلما كانوا يتأخرون عن ايجاد الاحكام واصدار الفتاوى التي تخدم مآرب السلطان وتضفي على اوامرهم وتصرفاتهم صفة الشرعية ، ولهذا السبب كان رجال الدين يتمتعون بسلطة معنوية كبيرة ويقومون بدور فعال في شؤون الدولة[٢٦] . ويذكر العزاوي : ان شيوخ الاسلام كأنهم موكولون بتوجيه الفتاوي طبق رغبات السلاطين مما جعلهم يميلون مع الاهواء تزلفاً للدولة ومماشاتها[٢٧] .

ويؤيد ماسبق الدكتور ابراهيم الوائلي عندما يقول «انه اذا ثار احد أو طالب بالحق قوبل بالسيف والنار وان اشباه الاميين ممن سموا انفسهم برجال الدين كانوا يمالئون السلطان ويسبون من لم يعلن له الطاعة والخضوع[٢٨] .

ان هذا الوضع ادى الى ان يحرص الحكام والامراء دائماً على ارضاء رجال الدين وان لا يقوموا بعمل يغضبهم . . . ولما كان الشعور الديني طاغياً في كردستان والحس القومي الكردي ضعيفاً انذاك ، اصبح لرجال الدين احترام كبير ونفوذ وحرمة في النفوس وتأثير قوي ، فأستغل العثمانيون ذلك فكانت لعبة الخلافة الاسلامية دوماً ورقة رابحة في اللعبة مع الكرد فأخذ العثمانيون يشجعون الزعامات الدينية بالمال والنفوذ والجاه لأضعاف الامراء الاكراد واصبح مألوفاً النزاع على السلطة بين الرؤساء الدينيين وزعماء القبائل والسلطات الحكومية ، واذا دققنا النظر في شتى نواحي حياة الكرد نلاحظ اكثر من مرة الدور الذي لعبه الدين في هذه الحياة ، فالكثير من الحوادث التي وقعت في كردستان كان بتحريض من الزعماء الدينيين[٢٩] لأن الشعب الكردي كان ينقاد كل الانقياد ويرضخ كل الرضوخ الى العلماء ومشايخ الطرق[٣٠]

ولابأس هنا من ان نستطلع رأي مجموعة من الكتاب والمؤرخين في اسباب سقوط امارة سوران وأثر فتوى الخطي في ذلك ، اضافة لما سقته آنفاً من مؤشرات ، علماً ان تطابق الاراء واتفاقها في مسألة ما ليس بالضرورة ان يكون هو الرأي الصحيح ، فهذه الفترة يجب ان تدرس دراسة جدية وان بحثي هذا ليس الا بداية متواضعة لمثل هذه الدراسة .

يلخص فريزر اسباب سقوط الامير السوراني فيقول : لم يكن مصير هذا الرجل العجيب كما كان من المؤمل ان يكون . فقد هوجم من الجنوب والغرب فدافع عن نفسه ببسالة واقدام . ولو كانت جيوشه مخلصة له لأستطاع ان يردّ ، القوى التي زحفت عليه كلها ، لكن الامير لم يكن محبوباً في البلاد التي استولى عليها . وكان البعض من ضباطه ميالين الى الخيانة ، والقسم الاخر اوجعهم رؤية اعلام السلطان . اضف الى ذلك ان بقايا التبجيل لخليفة الرسول ورمز الاسلام الذي منعت الكرد من مقاومة جنود السلطان بالسلاح[٣١] .

وعندما سأل الميجر فردريك ميلسن رسول باشا الذي كان والياً على وان في ١٨٧٠ عن قضية اخيه الامير محمد أجاب رسول باشا : انه كان يعمل على انقاذ بلاده من براثن الحكم العثماني وكان بامكانه ان يبسط سلطانه على كردستان ، ولكن الباب العالي ارسل جيشاً بقيادة رشيد باشا الذي كان صديقاً شخصياً لمحمد باشا واستغلت الحكومة هذه الصداقة ستاراً لخيانة محمد باشا الذي خدع ووقع في المكيدة التي دبرها له لانه اجاب طلب رشيد باشا[٣٢] . والمعروف لدى المؤرخين ان الامير لم يكن يرتبط بصداقة مع رشيد باشا ، وانه لم يغادر في حياته كردستان الى بغداد أو استنبول للتعرف على الصدور العظام ورجالات الحكم . وان رشيد باشا لم يسبق له قبل عام ١٨٣٤ أن عمل والياً أو حاكماً في العراق أو كردستان ، فجواب رسول باشا كان رسمياً ومبرراً لفشل اخيه الذي لم يستطع التغلب على الموقف . . وانه تحاشى ذكر السلطان العثماني الذي امر بقتل اخيه ، باعتباره موظفاً في الدولة ، كما لم يذكر رسول باشا اسماء الذين خانوا شقيقه من اتباعه اكراماً لمشاعر الاحياء منهم في كردستان واراد بالتالي ان يثبت للميجر ان الاميركان صديقاً مخلصاً لرشيد باشا . . وان اخلاصه هذا جعله يستسلم لصديقه مطمئناً .

اما المؤرخ المكريانى فكتب يقول : ان الاكراد حاربوا ببسالة منقطعة النظير وكانوا يهاجمون العدو كالنمور الهائجة . الا ان العلماء وطلاب العلوم الدينية كانوا قد نخروا اساس الامور . لذلك فان الحرب مع الاتراك كانت عملاً بلا جدوى مادام الامير لا يعمل شيئاً بدون ان يفتي له العلماء بذلك . .[٣٣] . ويعلق المكرياني على فرمان رشيد باشا المزيف واثره فيقول :- ان مثل هذا العمل كان آلة بيد الاتراك لقتل الروح المعنوية لدى الاكراد وللقضاء عليهم . ولما كان الملا الخطي ربيباً لداود باشا فقد كان يعرف الكثير من تلك المناشير والفرامين فسارع الى نشرها والقى خطبة مطولة افتى فيها بان الحرب ضد سلاطين آل عثمان تخل

بالدين والايمان والعصمة الزوجية ، فكان لتلك الخطبة في تلك الايام اثر كبير في النفوس وصارت سبباً لضعف الامير حيث صرفت قلوب الاكراد البسطاء عن المقاومة فأضطر الى ان يسلم نفسه[٣٤] .

ويعزو لونكريك فشل الامير الى خيانة الكثير من اتباعه وانه استسلم بعد ان اعطي أوثق العهود بأن يعامل بالحسنى . . الا انه اختفى بصورة سرية وذهب ضحية للحذر التركي والخيانة التركية معاً[٣٥] .

أما محمد امين زكي فبالاضافة الى الاسباب التي ذكرناها سابقاً يرى : انه كانت لفتوى الخطي أثرها العظيم في الجند واعوان الامير «فأنفضوا ولم يجد الامير طريقة لمعالجة الموقف فسلم نفسه» ويضيف زكي على قوله هذا «ان هذا الامير الشجاع لو راعى جانب السياسة في اموره مثل ما راعى التعصب الديني ، لكان من الموفقين في تأسيس حكومة وطنية مستقلة قوية حيث كانت الظروف والاحوال مواتيه له . . فاحتلال المصريين لسورية واطنه كان لايزال قائماً[٣٦] .

اما علي سيدو الكوراني فيقول : ان رشيد باشا لم يقدم على حرب امير سوران لانه كان يعرف مدى قوة الاكراد ، فأستمال علماءهم ليكون النصر بجانبه كلية واقنعهم باستنكار وقوف الامير في وجه خليفة المسلمين فاصدر الخطي فتواه الشهيرة التي كانت لها اثر عظيم في جند الامير فانفضوا من حوله[٣٧] .

وعن الخطي واثر فتواهُ يقول الكوراني ايضاً : لاريب ان الملا محمد الخطي حين اصدر فتواه لم يكن يتصورهذه النتيجة ولم يكن يعلم ان العثمانيين يستعملونه وغيره من علماء المسلمين ليوصلهم الى غايات هم اعجز من ان يصلوا اليها عن طريق السيف» وانه من المؤسف ان يجد المتتبع لتاريخ الكرد ان بعض رجال الدين يسيطرون على رجال السياسة ويكون بعضهم سبباً لنكبتهم ، لا لانهم يقصدون ذلك ، بل لأنهم ينساقون انسياقاً اعمى ، فهذه امارة «سوران» تتسع هذا الاتساع ثم تتعرض دون ان يظهر عليها الهرم او يحول دون تقدمها قوة من القوى اللهم الا فتوى شيخ مخدوع[٣٨] .

لا اتفق مع الكوراني على رأيه ، وذلك لان الخطي كان يعي تمام الوعي خطورة ما اقدم عليه ، ويظهر هذا الوعي من خلال علاقاته السابقة مع داود باشا والامير محمد ، اضافة الى قوة الفتوى التي اصدرها ، ولأن الكوراني يجعل الخطي «المخدوع» وفتواه السبب الرئيسي لسقوط الامارة السورانية .

ويتفق انور المائي مع العزاوي من ان : رشيد باشا عند وصوله الى حرير ظهرت له صعوبة اجتياز مضيق كلي علي بك ، فبدأ يدعو الامير الى الصلح ، وان الامير تأثر نفسياً بفتوى الملا خطي فبادر الى الذهاب الى المعسكر العثماني لتقديم الطاعة حسبما اوحت اليه عقيدته الدينية[٣٩] .

ويقول الدملوجي معلقاً على اثر فتوى الخطي في سقوط امارة سوران : «ان محمد باشا يستسلم للقائد العثماني بفتوى يصدرها عالم جاهل يحرم عليه قتال جيش خليفة المسلمين ويعده خارجاً . . وكان له من القوة ما يستطيع معها ان يهزم جيش الخليفة ويهز عرشه و «الخليفة» غاصب لم تكن طاعته واجبة عليه[٤٠] ويتخذ الدملوجي من هزيمة الامير محمد واستسلامه للقوات العثمانية مثالاً على مدى تمسك الكرد وامرائهم بالشرع الشريف واثره فيهم فيقول : «ورب عالم يلقى من فوق المنبر خطبة يفرق بها جيشاً متحفزاً للقتال ويجعل اميراً ذا قوة وشكيمة يُغلب بعد انتصار فيلاقي حتفه ويضيع ملكه[٤١] .

اما السجادي فاقواله متناقضة ولا يستطيع الباحث ان يستنتج منها رأيه الصريح في المسألة ففي الوقت الذي يقول :-

ان دعاية تحريم محاربة جيش الخليفة انتشرت بين الجيش السوراني الذي كان كله كردياً مسلماً ، فأثرت تأثيراً كبيراً على وحدته مما اضطر الباشا الى ان يسلم نفسه ، يعود فيكذب رواية الفتوى – من حوادث للخطى مع الامير – ويعتبرها فرية لفقها خصوم الخطي فيقول : « ان الخطي كان وزيراً للباشا بوحي منه وان الاخير عندما استشاره في القضية اصدر الخطى فتواه . .»[٤٢] .

ويستنتج السجادي من دراسته لحركة امير سوران ، ان محمد باشا كان مؤمناً ومتمسكاً بوجوب تحرير كردستان من قبضة هذا وذاك ليجعله بلداً مستقلاً غير ان القضية الدينية قصمت ظهره واردته صريعاً ، ولا لوم في هذا عليه أو على الخطي حتى ولو كان الاخير قد افتى بتلك الفتوى[٤٣] .

ويعتقد كيو الموكرياني ان الخطي كان عميلاً وانه بتحريض من والي الموصل اصدر فتواه بتحريم توجيه البنادق الى الجيش العثماني «جيش خليفة المسلمين» وتكفير كل من يخالف ذلك وانه بهذه الحيلة الكاذبة اطفأ هذه الشعلة واساء الى سمعة بقية رجال الدين»[٤٤] .

وكتب الدكتور نوار يقول :- اخذ اعوان الامير يتخلون عنه حيث ان فرمان السلطان بعزله كان له مفعول السحر في تفكيك قواه وادرك الامير ان الامور تتطور بسرعة ضد مصالحه فوجد ان الاستسلام خير له

من متابعة المقاومة لعله يحصل على عفو من السلطان ويعود الى مقر اقامته معززاً مكرماً حسب ماوعد به[٤٥] .

لا تذكر المصادر التاريخية ان السلطان اصدر فرماناً بعزل امير سوران ، رغم ان الذي كان يتمتع بفرمان السلطان يحسب له الناس الموالون حساباً ، ولكن الامير لم يتول امارته بفرمان من السلطان العثماني ليعزل بفرمان ، وانه كان خارجاً عن ارادة السلطان علناً وكان الجميع يعرفون ذلك جيداً ، فلعل نوار يقصد بالفرمان فتوى الخطي او رسالة رشيد باشا الى الامير ورجال الدين .

ويذكر صالح قفتان – المتأثر براي محمد امين زكي :– ان اسباب عدم نجاح الثورات الكردية تعود الى أسباب داخلية حيث ان ظروف الكرد السياسية لم تكن ناضجة ، ويضع قفتان مسألة التعصب الديني وعدم الخروج عن نصائح رجال الدين ، الذين كانوا لا يفهمون في السياسة شيئاً ، في مقدمة اسباب انهيار امارة سوران[٤٦] . وعن التدابير العثمانية في احتلال راوندوز واثر فتوى الخطي يقول قفتان : «ان هذه التدابير والحيل تمكنت من النفاذ الى قلوب الجنود السورانيين الجهلة وبسرعة واثرت فيهم أيما تأثير ، ولقد رأى الامير محمد بعينيه كيف ان جنوده لم يعودو ا يفكرون بالحرب قدر تعلقهم بالسلم . . وهكذا اضطر الى الرضوخ للعدو»[٤٧] .

ويرى الدكتور عبدالرحمن قاسملو : ان الامير سلم نفسه نتيجة لتأثير عالم ديني كبير رأى في محاربة الخليفة اثماً كبيراً[٤٨] .

ويذكر الدكتور جليلي جليل : ان التعصب الديني الذي كان قد استغله الامير والمكانة التي كان قد اعطاها لرجال الدين وجعل منهم المستشارين والمساعدين ، انقلب عليه ، وان الكثير من جنده ألقوا السلاح بسبب الفتوى ولم يرضوا بقتال العثمانيين لذا يعتبر البعض ، ان الخطي كان مرسلاً خصيصاً من قبل العثمانيين ، ويختتم جليلي قوله : بانه مهما بلغ من تضخيم دور الخطي في هزيمة الامير فمن الواضح ان الافكار الدينية للمنتفضين ضد السيطرة العثمانية لم تكن تأتي في المركز الاخير من تسابق الاحداث[٤٩] .

ويتفق الجاوشلي مع الميجرسون : من ان الامير قتل وانهيت امارته بتحايل من العناصر الموالية للسلطان ، الذين استدرجوه الى شرك نصبوه له[٥٠] .

ويورد الدكتور كاوس قفتان مجموعة من الاسباب الداخلية التي ادت في رأيه الى سقوط امارة سوران فيمايلي موجزها :–

يرى قفتان ان طبيعة المجتمع الكردي القبلي العشائري الاقطاعي انذاك كانت عقبة امام أمير سوران ، ويستشهد بقول صديق الدملوجي «من ان كل امارة كانت تعد نفسها مستقلة وحقوقها محفوظة» . فاذا اقدم امير كردي على احتلال امارة اخرى ، أثار العصبية القبلية ، واذا صاحب هذا الاحتلال القسوة ، اصبحت المسألة مسألة دم وثأر ، فالخطأ الكبير لأمير سوران لم يكن في احتلاله الامارات المجاورة فحسب ، بل في القسوة البالغة التي كان يتبعها ، ففي حربه مع امراء بادينان أباد عشيرة كردية باكملها لأنها قاومت جيشه ببسالة ، واضطرت هذه المناطق الى الرضوخ والمشاركة في حروبه خلافاً لارادتها ، نتيجة ضغط وقسوة الامير ، وكانوا ينتظرون الانتقام ، وحين حل ذلك اليوم وهاجمت الدولة العثمانية أمارة سوران سرعان ما انقلبوا على امير سوران .

وبلغ طموح امير سوران حداً لم يكن ليطيق ان يرى اميراً مشهوراً اخر الى جواره ، وقاده هذا الى طريق ملتوٍ واعمال خاطئة ، فبدلاً من ان يتعاون مثلاً مع امارة بوتان الكبيرة والقوية والتي كانت تتهيأ للانتفاضة ضد العثمانيين ، هاجمها وحاول احتلال مناطق نفوذها ، فخسر بعمله هذا حليفاً قوياً .

واذا القينا نظرة على اعمال امير سوران ، لنرى ماذا فعل للشعب ؟ ! ، نرى ان ذلك ايضاً كان سبباً من اسباب انهياره صحيح انه ملأ البلاد بالقلاع وشيد الكثير من الجسور على الانهار – وكانت لمواصلات جيوشه – لكنه لم يفتح مدرسة او جامعاً أو حجرة لطلاب علوم الدين والمعارف ، وان الحروب التي قام بها جلبت الكثير من الويلات للشعب واضجرته فتلك المعارك ونفقات جيشه الجرار حملتا الشعب الذي كان في الاساس فقيراً ، اعباء كبيرة ، حيث ان رواتب الجيش كانت تدفع من جيب الشعب وكان يجمع حول مائدته في مضيفه من مئة الى مئتين من رؤساء العشائر كل ليلة ، بالاضافة الى انه كان يشترى السلاح والعتاد بسعر مضاعف ، اما المصاريف البسيطة فكان يدفعها من جيبه .

كما كان قصر نظر أمير سوران في السياسة سبباً آخر من أسباب سقوطه السريع ، لا يخفى انه كان شجاعاً وقوياً ، لكنه كان ضيق النظر في السياسة ، بحيث اقتنع بتعهد ووعود عَدُويه بريطانيا والدولة العثمانية ، حين شعر بأن الظروف ليست في صالحه فاستسلم ليس كزعيم

صاحب مبدأ بل كواحد من رعايا السلطان ، وبالرغم من ان الدين كان له الدور الكبير في سياسته ، لكن الاسباب السالفة الذكر كانت اقوى تأثيراً من الدين ، فلا يعقل ان تنهار امارة بهذه القوة والنفوذ نتيجة فتوى احد رجال الدين ، والحقيقة ان امير سوران اعلن وقف المعارك والاستسلام فور هجوم القوات العثمانية على امارته ، ووقف الى جانبه وجانب الملا الخطي القليلون ممن لم يرغبوا في الحرب ، بينما وقف القسم الاكبر من الجيش الى جانب اخيه احمد بك الذي قرر المقاومة ويختتم كاوس اقواله هذه ، بأن معظم الامارات الكردية قامت بحركات ضد العثمانيين وقمعت كلها ولكن ليس بفتوى[٥١] . الى هنا ينتهي رأي الدكتور كاوس وسوف نسترسل قليلاً في مناقشة بعض ما ذهب اليه ، لأن الدكتور . . اختصاصه التاريخ .

صحيح ان المجتمع الكردي كان مجتمعاً قبلياً عشائرياً اقطاعياً . ومازالت جذوره باقية للآن ، ولكن الامارات الكردية لم تكن قائمة على اساس قبلي وانما على اساس اقليمي تضم العشرات من العشائر ويبدو ان الدكتور كاوس قد فسر قول الدملوجي خطأ ، فالدملوجي يقول خطأً ايضاً :- انه بعد ان احتل الامير بادينان لعبت نشوة الظفر في رأسه واراد ان يتوسع في امارته اكثر من هذا ، فكانت امارة البوتان مطمح انظاره فسار اليها واوقع اميرها بدرخان في قلق واضطراب وهدد قلعتي ماردين ونصيبين ووصلت جيوشه جبل سنجار . . واصبحت امارة بوتان الجسيمة مهددة بخطر الاستيلاء السوراني : « وهو عمل لا يدل الا على اعتداء غير مشروع ، اذ من المعلوم ان الامارات الكردية قائمة على **الأسس القومية وليس في وسع امير ان يخضع لحكمه أمة لا تمت اليه بصلة القومية** ، والامير السوراني بوسعه ان يتوسع في امارته شرقاً حيث الاقوام السورانية ، ويستولى على القبائل الكردية الضعيفة ، ولكن ليس من حقه ان يتوسع على حساب امارة بادينان ولا امارة بوتان واذا حدث فأخضعاهما فسيكون ذلك امراً وقتياً لانهما لم تلبثا ان تستعيدا قوتهما[٥٢] . يظهر من هذا النص ان الدكتور كاوس توصل من خلاله الى اجتهاد مقلوب ، وان الدملوجي خلط بين الاقليم والعشيرة اذ عَدَّ الامارة السورانية قائمة على اساس قومي يختلف عن الاساس الذي قامت عليه امارتي بادينان وبوتان ، ولا اعرف كيف فاته - وهو المطلع - ان الامارات الثلاث كردية واقيمت على اساس اقليمي «سوران ، بادينان ، بوتان .» وليس على اساس قوميتين مختلفتين ، واذا كان الدملوجي قد اخطأ في اعتبار قيام امارتي سوران وبادينان على اساس قوميتين مختلفتين ، فان الدكتور كاوس قفتان قد اخطأ بدوره حين اشار وبطريقة غير مباشرة الى قيام الامارات الكردية على اسس عشائرية بقوله «لو قدر لأمير كردي ان يحتل امارة اخرى فان العصبية القبلية كانت تثار نتيجة لذلك ، واذا صاحب الاحتلال العنف والقسوة فان البغضاء والعداء يتأصلان بين العشيرتين . .» .

ويبالغ الدكتور كاوس في تصوير قسوة الأمير ، والمعروف ان اسمه -اي الامير - لا يحمل الرعب في ثناياه عند الاكراد ، كأسماء جنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك ، فلم يعرف عنه انه سلخ ونشر الجلود على الاسوار او قلع العيون ، كما لم يشتهر بممارسة الاغتيال والاستيلاء على اموال الغير . ان كل الفاتحين في التاريخ اتبعوا سياسة القوة والارهاب ، ولم يكن الامير استثناء منهم ، وهل كان بامكانه ان يبني امارة واسعة بطريقة اخرى غير الطريقة التي اتبعها ؟ . ثم لا ننسى ان امراء امارتي بابان وبادينان كانو ا من الموالين الجيدين للعثمانيين واعداء الامير ، اما امارة بوتان فقد وقفت ضده واخذت تساعد امراء بادينان على استعادة امارتهم بعد ان ضمها الى امارته عام ١٨٣٢ ، فكان عملهم هذا تحدياً للأمير واثارة لغضبه . ويؤسفني ان اقول ان الدكتور قفتان لم يكن موفقاً في تحليلاته واستنتاجاته التأريخية ، اذ يعد مقاومة احدى العشائر الصغيرة في منطقة بادينان للأمير عملاً شجاعاً لطموح امير سوران في تأسيس دولة كردية كبيرة .

هذا والامير لم يقم بابادة تلك العشيرة كما يذكر الدكتور كاوس نقلاً عن فريزر الذي اورد الخبر كمجرد رواية لم يتحقق منها ، بل ان تلك العشيرة كما يذكر فريزر تمادت في معارضته وبشدة اثناء محاصرته للعمادية وظلت كذلك حتى بعد سقوط المدينة ، فساق عليها قواته وبعد ان اخضعها وعانى ماعانى من أجل ذلك ، قتل جميع من وصلت اليه يده من افرادها حتى بلغت ضحاياه عدة الاف من الرجال وقد فعل ذلك في سبيل العبرة للاخرين[٥٣] ، ويقول الدكتور كاوس انه نتيجة لعنف وقسوة امير سوران فان الاقاليم اضطرت الى الرضوخ له ، حتى انها كانت تشارك في حروبه خلافاً لقناعتها او ارادتها ، وهنا نسأل الدكتور :- على من كان امير سوران يشن حروبه ؟ . الم تكن النتيجة تفضي الى التخلص من النفوذ العثماني والايراني ؟ ! ! . ترى وهل النضال ضد العثمانيين ومواليهم يعتبر اضطرارياً ومخالفاً لارادة وقناعة الاكراد ؟ ، ولنمض مع الدكتور «ولكنها - اي هذه الاقاليم - كانت تنتظر سنوح الفرصة للثأر والانتقام» . على من تثأر وممن تنتقم ، اما كان

الاحرى بالدكتور ان يكرس «الحقد المقدس» والتهيؤ للانتقام من العثمانيين والايرانيين ومواليهما الذين ساموا الشعب الكردي الامرين طوال قرون ؟ ! ! .

ان حركة امير سوران ارعبت الدولة العثمانية ومواليها من الامراء الاكراد ، لانهم لم يألفوا مثل هذه الحركة من قبل من حيث السمعة والاهداف والقوة والنجاح ، فأمير سوران كان يسعى الى السيطرة على كردستان[٥٤] . لذا اخذت اجهزة الدولة تشنع به وتشوه سمعته وحركته القومية وتحرض عليها ، ويبدو ان العلامة العزاوي يتقدم على الدكتور كاوس قفتان في تحليله لأحداث ذلك الزمن وفي تشخيصه بدقة اهداف وخطورة حركة أمير سوران على الدولة العثمانية بقوله : ان امير سوران ظهر ببسالة لايزال الكرد يتغنون بها ، وان العثمانيين قاموا لحركته وقعدوا ، ولم يكن ما نسب اليه من انه عاث بالامن صواباً ، وانما حذرت الدولة من توسع امارته ونجاحها في ديار الكرد وحسبوا لها خطرها عليهم ، فشنعت عليه واهتمت في أمر غائلته[٥٥] .

والطريف ان الدكتور قفتان يناقض اقواله الأنفة الذكر في موضع اخر من كتابه عندما يقول «لم يكن الوعي القومي على درجة من القوة لكي يفهمهم بان نكسة أمير سوران وانتصار العثمانيين يلحقان الضرر بالشعب والوطن في المستقبل» . وهذا القول للدكتور يعزز من آرائنا وتوجهاتنا .

اما موقف الامير السوراني من الامارات الكردية ، باستثناء امارة بادينان التي ضمها كلياً الى امارته ، فقد تحسن فيما بعد بدليل اقامته العلاقات الودية مع الامير بدرخان البوتاني وتصالحه مع امراء بابان وبادينان . . ويكفي انه لم يقتل اميراً كردياً واحداً رغم تمكنه من بعضهم .

لقد كان الامير يسعى الى السيطرة على كردستان . . ويستدعى هذا تشكيل قوة عسكرية ضخمة لتوحيد المناطق الكردية والوقوف وجهاً لوجه امام اطماع الدولتين العثمانية والايرانية ويؤيد هذا الدكتور قفتان نفسه عندما يذكر : ان الامير كان يريد تأسيس دولة منافسة للدولتين العثمانية والايرانية وان القوة العسكرية التي كان يمتلكها لن تشبه قوة عسكرية لامارة صغيرة بل انها كانت تشبه قوة عسكرية لشبه دولة كانت تخطط للتوسع[٥٦] . ولهذا السبب اذن سخر الامير معظم جهوده وامكاناته المالية لاغراضه العسكرية فمن الطبيعي ان لا تتقدم الانشطة الاخرى الثقافية ، مثلاً لتسير بموازاة النشاط العسكري ، وان وجدت ثمة أنشطة غير عسكرية فانها غالباً ما تكون رمزية وذات تأثير محدود . ومع ذلك فقد انتعشت التجارة وزادت ثروة الامارة بفضل الجسور وحصون حماية الطرق التجارية واهتم الامير بالعلم والعلماء وبفتح المدا_س وبناء المساجد كما ذكر ذلك فريزر وميللنجن وروص وغيرهم من المؤرخين والرحالة .

اما قول الدكتور : بان اعمال الامير العسكرية قد انهكت الشعب واضجرته في حين ان الشعب هذا كان اصلا شعبا فقيرا معدما وعن فقر الشعب يستند الدكتور كاوس على ما ذكره الدكتور روص عند زيارته لمنطقة راوندوز ونقلا من محمد امين زكي ، وبسبب عدم اطلاعه على المصدر الاصلي وقع في خطأ كبير ايضا ، فالدكتور روص الذي زار بعض القرى والقلاع شمال راوندوز او شرقها لم يسمح له بزيارة راوندوز ولا بالتجوال الكثير في المنطقة ويظهر كما يقول فريزر ، انه عومل بحقارة في المنطقة ، ولم يتحدث روص عن الفقر والثياب الرثة بل ذكر انه شاهد أناسا يلبسون البسة خلقه وانه راى قرية تضم مئة دار حقيرة تنتشر بين غابة كثيفة من البساتين الحاوية لكل نوع من انواع الاشجار المثمرة ! ![٥٧] وعندما يعود روص ليصف الالبسة الكردية التي شاهدها لا تبدو من وصفه انها كانت خلقه .

والغريب ان الدكتور كاوس عَمم ،الوضع الاقتصادي «البائس» في المنطقة الصغيرة التي زارها روص في راوندوز على بقية مناطق الامارة واغفل ما كتبه الدكتور روص والرحالة فريزر عن الرخاء الاقتصادي في المناطق الاخرى كاربيل والتون كوبري مثلا .

ولو فرضنا جدلا ان الشعب كله كان فقيرا معدما ، فان سؤالا يطرح نفسه هنا ، هل يتوقع من الشعب المتخم الثري ان يقدم التضحية والقرابين في سبيل الحرية وحياة افضل ؟ ام الشعب المعدم الفقير ؟ ! .

ويتهم الدكتور كاوس الامير بانه كان يحتجن امواله ويبذر اموال الشعب ، ويستدل على ذلك بدفع رواتب الجند وانه كان «يستضيف في كل ليلة مئة او مئتي رئيس عشيرة» ومن جديد يرتكب الدكتور كاوس الخطأ في نقل النصوص التاريخية لعدم رجوعه الى المصدر الاصلي ، فالنص هذا منقول من يوميات روص الذي زار الامير في ٣ تموز ١٨٣٣ في خيمته بمنطقة عقره ومكث خمسة ايام كاملة في معسكره وكتب يقول : «وفي كل مساء يتناول ما بين المئة والمئتي جندي عشاءهم في خيمة الباشا متبعين في ذلك دورة خاصة تتناول العشائر

جميعها . . .»[٥٨] ، فاين هذا القول من قول الدكتور كاوس الذي يتضمن الطعن في سيرة الامير الشخصية ، فهذه الولائم كانت تقام للجنود لا لرؤساء العشائر وفي اثناء الحرب فقط ، حيث كانت تجري تلك الولائم لجنود ينتمون لمختلف العشائر وبالتناوب وفي خيمة الامير لا بقصره في راوندوز ، وهذا يدل على فهم الامير لنفسية العشائر فكان لا يقدم احداها على الاخرى ليضمن ولاء جميعها ويفرض احترامه على رؤسائها .

ولو فرضنا ان تلك الولائم كانت تقام في راوندوز فهل من المعقول ان تقطن هذه المنطقة المحدودة المئات من العشائر ليستضيف الامير رؤساءها وليليا ، كما ان مثل هذه الاقوال تعتبر من افكار العصور الوسطى ، فهذا حاكم اربيل السياسي في عام ١٩١٨ – ١٩٢٠ يقول : ومن الملحوظ بشكل بارز «ان منطقة راوندوز تخلو من قبائل كبيرة وزعماء عشائريين ذوى خطر»[٥٩] .

والصحيح ما ذكره الدكتور روص انه «في كل مساء كان ستة او ثمانية من القرويين يتناولون العشاء في بيت الامير مع عدد من المحاربين القدماء من اصدقاء شبابه»[٦٠] .

وعن تبذير اموال الشعب يستشهد الدكتور كاوس قفطان باراء ساذجة كقوله : ان الامير كان يشتري السلاح بثمن مضاعف ، او تحمله المصاريف البسيطة من ميزانيته الخاصة وتهربه من دفع رواتب الجند والضباط ومصاريف بناء القلاع والجسور ، والقاء عبئ ذلك على كاهل الشعب .

ترى هل من المعقول ان تدفع رواتب جيش جرار من جيب فرد معين ؟ وهل من القول ان يحصل الاكراد انذاك وهم شعب مضطهد بين دولتين معاديتين ، على السلاح بثمن رخيص ؟ وحتى في هذا العصر هل تحصل الشعوب النامية والمغلوبة على امرها على السلاح بثمن بخس ؟ ! . الا يكلف ذلك في اقل الاحوال انتقاصا من استقلالها وسيادتها ؟ ! . . ، ثم لماذا لم يذكر كاوس قول الدكتور روص من ان «الامير معتاد على شراء غنائم واسلاب الحرب جميعها – من جنوده – باسعار تساوي ضعف ما يدفعه لهم الاخرون»[٦١] .

لم يكن الامير مصابا بقصر النظر السياسي كما ذكر الدكتور كاوس ، بل كان طموحا سعيه الى توحيد الامارات الكردية والقبائل لمناهضة الدولة العثمانية ، واقامته الاتصالات الدولية مع محمد علي باشا – كما ذكر كاوس نفسه هذا – وايران وبغداد وكافة رجالات العراق ، لا يدل على قصر نظره السياسي بل على النقيض من ذلك يدل على بعد نظره السياسي ويؤيد هذا محمد امين زكي والرحالة فريزر الذي يقول « . . . ان دراستي الخاصة اثبتت لي ان الباشا كان على جانب عظيم من الحرص والحيطة والحذر مع بعد النظر ودقة الشعور . . .»[٦٢] .

والدكتور كاوس نفسه يناقض قوله اعلاه في الصفحة «٥٠» من كتابه عندما يقول ما معناه : – بأن فكرة الاستقلال كانت تستحوذ على مخيلة الامير ويجمع معظم الرحالة والمؤرخين ، بانه كان يسعى الى نيل الحرية والاستقلال لشعبه وانه كان يقف موقف الند للند مع الدولتين العثمانية والايرانية ، ويعقد المعاهدات مع الدول المعادية لعدوه الرئيسي الدولة العثمانية ، ثم يقول كاوس ما نصه : «ان تصورات امير سوران كانت تتميز ببعد النظر» .

وبعد فان بمقدور الباحث ان يسوق الكثير من الحجج والبراهين المفندة لاراء الدكتور قفتان التي تشبه رمي حجرة في الظلام واراء لا مسؤولة اخرى يجد القارئ الرد عليها في ثنايا البحث .

المصادر والمراجع والهوامش

١ – جبار محمد جباري : – تاريخ الصحافة الكردية في العراق ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٦ .
٢ – محمد امين زكي : – خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ص ٢٦١ ، وطبعة بغداد ١٩٦١ ص ٢٤٥ – ٢٤٨ ، كذلك انظر الاصل الكردي ص ٢٣٥ .
٣ – محمد امين زكي : – المصدر السابق ص ٢٦١ ، ٢٦٤ والاصل الكردي ص ٢٣٥
٤ – على بعد مسافة من مدينة شقلاوة وقبل الوصول الى قرية سياوه الكبيرة يتفرع الطريق المعبد القديم الى اليمين فيمر بقرية «شيخ محمود يان» «ثم يعبر مضيق» «زينه تيره» الذي يقع في منتهى جبل حرير عند التقائه بجبل «تيره» حيث تصل الى قرية «خەتى» .
٥ – زبير بلال اسماعيل : – محمد الخطي ونهاية الامارة السورانية مجلة الحكم الذاتي ، العدد الرابع السنة السابعة .
٦ – محمد أمين زكي : – المصدر السابق هامش ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .
٧ – وفي لقاء لي مع السيد «محمد عبدالفتاح محمود» من اقرباء الملا محمد الخطي ، في تموز ١٩٨٥ كان يجهل هو ايضا الاسم الثلاثي لشقيق جده . ولكن من خلال ذكر اسماء اجداده استطيع ان اقول ان اسمه الثلاثي ربما كان محمد احمد عبدالرحمن .
٨ – ترك الخطي الاثار الاتية : –
١ – حواشي على البيضاوي .
٢ – حاشية على جمع الجوامع .
٣ – حاشية على تحفة بن حجر .

٤ – رسالة في علم الكلام كتبها برغبة الوالي داود باشا .

وترك مكتبة عامرة في المسجد الكبير براوندوز تعرضت الى حادثة حريق عام ١٩٥٧ . انظر زبير بلال اسماعيل : – المصدر السابق وعباس العزاوي : – عشائر العراق جـ٢ ص ١٣٠ .

٩ – الشيخ عبدالرزاق البيطار : – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر جـ١ ، دمشق ١٩٦١ ص ٦٠٣ ولمعرفة المزيد عن داود باشا راجع ص ٥٩٧ – ٦٠٧ .

١٠ – الشيخ عثمان بن سند البصري : – خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق وهو مختصر كتاب مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود «اختصره الشيخ امين بن حسن الحلواني واطلق عليه تجاوزا الاسم اعلاه ، القاهرة ١٣٧١ هـ ص ١٢٤ .

كذلك انظر عباس العزاوي : – مولانا خالد النقشبندي ، مجلة المجمع العلمي الكردي ، المجلد الاول ، العدد الاول بغداد ١٩٧٣ .

وانظر فيصل محمد الارحيم : – تطور العراق تحت حكم الاتحاديين الموصل ١٩٧٥ ص ٨٩ .

١١ – عباس العزاوي : – المصدر السابق نفسه ص ٧١٨ .

١٢ – عباس العزاوي : – ذكرى ابي الثناء الالوسي ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٤١ – ٤٢ . وعشائر العراق جـ٢ ص ٢٥٥ .

١٣ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – داود باشا والي بغداد ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٣ .

١٤ – د . علي الوردي : – المصدر السابق جـ١ ص ٢٣٠ ، ٢٥٦ .

١٥ – ريجارد كوك : – المصدر السابق جـ٢ ص ١٢٨ كذلك انظر لونكريك : المصدر السابق ص ٢٨٧ – ٣٠١ .

١٦ – عبدالكريم المدرس : – تذكار الرجال ، بغداد ١٩٧٩ جـ١ ص ١١٦ – ١١٨ «باللغة الكردية» .

١٧ – د . علاء موسى نورس : – حكم المماليك في العراق ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

١٨ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين جـ٧ ص ٣٣ وانظر زبير بلال اسماعيل : – المصدر السابق .

١٩ – زبير بلال اسماعيل : – المصدر السابق .

٢٠ – عبدالكريم المدرس : – المصدر السابق ص ٣٥٣ – ٣٥٥ .

٢١ – الشيخ عبدالرزاق البيطار : – المصدر السابق ص ٦٠٣ .

٢٢ – د . يوسف عزالدين : – داود باشا ونهاية المماليك في العراق بغداد ١٩٧٦ ص ٤٩ – ٥٠ .

وانظر كذلك د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ٣١٣ والشيخ عثمان بن سند البصري : – المصدر السابق ص ١٧١ – ١٧٣ ص ١٥٤ .

٢٣ – عبدالكريم المدرس : – المصدر السابق ص ٣٥٣ – ٣٥٥ .

٢٤ – عباس العزاوي : – تاريخ النقود العراقية ، بغداد ١٩٥٨ ص ١٢٦ – ١٢٧ .

٢٥ – محمد امين زكي : – خلاصة الكرد وكردستان «الاصل الكردي» ص ٢٣٥ وانظر الترجمة العربية طبعة بغداد ١٩٦١ ص ٢٤٦ .

كذلك انظر صالح قفتان : – تاريخ الشعب الكردي . . بغداد ١٩٦٩ ص ٣٨٠ «باللغة الكردية» .

٢٦ – ساطع الحصري : المصدر السابق ص ٢٦ – ٤٢ .

٢٧ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين جـ٥ ص ٢١٩ .

٢٨ – ابراهيم الوائلي : – المصدر السابق ص ٢٥ .

٢٩ – فيصل محمد الارحيم : – المصدر السابق ص ٨٩ ، كذلك انظر تومابوا : – مع الاكراد ، ترجمة اواز زنكنة ، بغداد ١٩٧٥ ص ١١٠ – ١١٣ .

: – لمحة عن الاكراد ، ترجمة محمد شريف عثمان ، النجف ١٩٧٣ ص ٣٠ – ٣٢ .

٣٠ – احمد الصوفي : – المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢ ، ص ٢١ .

٣١ – جيمس بيللي فريزر : – رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤ ، ترجمة جعفر الحاط بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ٢٧ .

٣٢ – محمد امين زكي : – تاريخ الدول والامارات الكردية . . . ص ٢١٤ .

٣٣ – حسين حزني المكرياني : – المصدر السابق ص ٦٦ – ٦٨ .

٣٤ – حسين حزني المكرياني : – نفس المصدر ص ٦٦ – ٦٨ .

٣٥ – ستيفن همسلي لونكريك : – المصدر السابق ص ٣٤٣ .

٣٦ – محمد امين زكي : – مشاهير الكرد وكردستان ، جـ٢ ١٤٧ – ١٤٨ .

٣٧ – علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ١٣٣ ١٣٤ .

٣٨ – علي سيدو الكوراني : – نفس المصدر ص ١٣٣ – ١٣٤ .

٣٩ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين جـ٧ ص ٣٥ وانظر انور الماني : – المصدر السابق ص ١٧١ .

٤٠ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٤٨ – ٥٣ .

٤١ – صديق الدملوجي : – المصدر نفسه ص ٤٨ – ٥٣ .

٤٢ – علاء الدين السجادي : – الثورات الكردية والكرد والجمهورية العراقية . بغداد ١٩٥٩ ص ٦٧ – ٦٨ «باللغة الكردية» .

٤٣ – علاء الدين السجادي : – المصدر السابق ص ٦٨ .

٤٤ – كيو موكرياني : – كيونامه . . اربيل ١٩٦٠ ط١ ص ٢٨ – ٢٩ باللغة الكردية .

٤٥ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – تاريخ العراق الحديث . . . ص ١٠٧ – ١٠٨ .

٤٦ – صالح قفتان : – المصدر السابق ص ٣٠٠ .

٤٧ – صالح قفتان : – نفس المصدر ص ٣٠٠ .

٤٨ – د . عبدالرحمن قاسملو : – المصدر السابق ص ٤٧ ٤٨ .

٤٩ – د . جليلي جليل : – المصدر السابق ص ١١١ .

٥٠ – الميجر سون : – المصدر السابق جـ٢ ص ١٤٨ – ١٤٩ .

انظر : هادي رشيد الجاوشلي : – القومية الكردية وتراثها التاريخي ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٩٩ .

٥١ – د . كاوس قفتان : – دراسات في تاريخ بابان وسوران وبوتان بغداد ، ١٩٨٥ ص ٥٣ – ٥٧ «باللغة الكردية» .

٥٢ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٤٦ – ٤٧ .

٥٣ – جيمس بيللي فريزر : – المصدر السابق ص ٢٦ .

٥٤ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٩٥ .

٥٥ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين جـ٧ ص ٢٥ ، ٣٤ عشائر العراق جـ٢ ص ١٥٧ .

٥٦ – كاوس قفتان : – المصدر السابق ص ٤٧ – ٤٨ .

٥٧ – جيمس بيللي فريزر : – المصدر السابق ص ١٦ – ١٧ .

٥٨ – جيمس بيللي فريزر : – نفس المصدر السابق ص ٢٤ .

٥٩ – دبليو . ار . هي : – المصدر السابق ص ١٠٣ .

٦٠ – جيمس بيللي فريزر : – المصدر السابق ص ١٧ .

٦١ – جيمس بيللي فريزر : – المصدر نفسه ص ٢٥ .

٦٢ – جيمس بيللي فريزر : – المصدر نفسه ص ٢٦ .

انظر محمد امين زكي : – تاريخ الدول والامارات الكردية ص ٤١١ .